سلسلة كتب الإسلام وطن

الكتاب الثانى والأربعون

# الطهور المدار على قلوب الأبرار

## الجزء الثانى


الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبو العزائم

أمامِى الفردُ فى جَمعِي وفَرْقِي
أراهُ فى ( ألستُ ) وفى كيانى
جَليًّا نُورُه غَرْبِي وَشْرقِي
يُستَّرُ نورُهُ شرقاً وغرباً
أنا المصباحُ نُورُ وميض برقِي
فتُخفينى المبانى فى ظُهورِى
تُظَللنى المَعانِي فى التَّرَق
رُقِيِّى حفظُ مرْتَبتِي بِسُفْلِ
أكونُ العبدَ فى أطوارِ خلْقِي

رمز آدم :

رمز آدم عجيب جدا فوق جميع الرموز ، لا يتحقق وصول فرد من الأفراد إلا بعد أن يفك له رمزه ، لأنه الجامع لكل الحقائق من العوالم ، والوسط بينها ، والصورة الكاملة للرحمن المجملة بجمال الخلافة عن ربنا جل جلاله ، ومن تناول من شراب قوله تعالى : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى »[1]

---

(١) سورة الحجر آية ٢٩ .

وشم عبير قوله تعالى : « إنى جاعل فى الأرض خليفة »[1]، وفقه المحبة فى قوله : « مامنعك أن تسجدَ لما خلقتُ بيدى »[2] بعد قوله تعالى : « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء »[3] وقوله سبحانه : « تبارك الذى بيده الملك »[4] يعلم أن آدمَ رمز الرموز ، بل وكنز مضنون به على غير أهله .

رب معترض علينا يقول : إن الله تعالى قال : « والسماء بنيناها بأيد »[5] فأجيبه غير لائم عليه بجهله بمتن اللغة العربية : إن لفظة « أيد » ليست جمع ( يد ) بل هى مصدر آد يئيد أيدا ، وأيد فى الآية الشريفة ( قوة ) أى : والسماء بنيناها بقوة .

آدم وما أدراك ما آدم ، خذ منى بالإشارة وسلّم : إن أعلى عليين بالنسبة لله تعالى كأسفل سافلين ، والله فوق العرش كما

(١) سورة البقرة آية ٣٠ .
(٢) سورة ص آية ٧٥ .
(٣) سورة يس آية ٨٣ .
(٤) سورة الملك آية ١ .
(٥) سورة الذاريات آية ٤٧ .

هو فوق الثرى ، وهو رب العرش العظيم كما هو رب الثرى ، والعرش والثرى سواء فى جانب الله تعالى ، وكما أن الثرى ما جانسه ولا لامسه ولا جسه ، فكذلك العرش ، ولكن الله يعظم ما شاء بما شاء ، ويقرب إليه من شاء ، ويبعد من شاء ، وينسب إليه من شاء وما شاء إحسانا وإكراما ، قال تعالى : ( طهرا بيتى )[1] .

وقال سبحانه : « واذكر عبادنا »[2] وقال جل جلاله : « نعم العبد »[3] : وقال « إن الله اصطفى »[4] ولم تكن حقيقة من تلك الحقائق تستحق شيئا من ذلك .

اقتضت حكمته سبحانه أن يكون ذا الفضل العظيم ، والله يحفظ لكل رتبة من الوجود مكانتها التى بها تكون مقهورة مربوبة ، أبدعت بعد العدم ، وأوجدت بعد أن لم تكن .

ومن عوالمه أيضا عمار ما فوق العرش ، وهم الآلهون لعظمته تعبدا وذلا ، وما دونهم من عوالم الروحانيات العاليات

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٥ .
(٢) سورة ص آية ٤٥ .
(٣) سورة ص آية ٤٤ .
(٤) سورة آل عمران آية ٣٣ .

من الكروبيين الذين هم فى عظيم الكرب رهبة وخشية من جلاله وعزته ، وما دون ذلك من الحافين حول العرش المسبحين بحمده المستغفرين للمؤمنين ، وغيرهم من الملائكة عمار سمواته من السفرة البررة ، ومن المستنسخين لكتابة قدره ، والقائمين بتبليغ رسالته والحفظة الكرام ، وغيرهم من السائحين فى الأجواء ، والقائمين على الأرجاء ، وغير ذلك من الأفلاك المنتثرة بسفاح السماء التى أظهر الله بها عجائب حكمته ، وغرائب إتقان صنعه من ثابتات وسيارات ، وليس فيها ثابت إلا بالنسبة لنظر العين ، وكلها سيارات تسمى بالثابتة ، منها ماسيره بطيء جدا وقد يقطع دورته فى مئات من السنين ، وغير ذلك مما هو بين السماء والأرض ، وليس بين السماء والأرض فضاء ، بل ما من نقطة من نقاط هذا الجو البسيط إلا وفيها من الحقائق المختلفة والأنواع المتباينة ما يحير العقول من جرم الأرض وما عليها وما فيها ، مما لو كشفت حقيقة ذرة منها ونطقت بلسان حالها مبينة مظهرها وحكمة إيجادها وارتباطها بها ؛ لعجز العقل الكامل عن أن يحيط بما فيها ، فسبحان من لايعلم قدره غيره .

خلق الله الأرواح العاليات جواهر نورانية ، وأجساما

روحانية ظاهرة جلية ، وخلق أسفل سافلين من كثافة ومادة ظلمانية ، ورفع العالم العلوى بصفاء جوهره وطهره من التضاد وسلامته من مقتضيات العناصر ، فهو صفاء بالفطرة ، ونور بالحقيقة ، وهو مقهور لقهار ، مربوب لرب ، فقهره وهو القهار بأن أظهر له بأنه لا فرق بينه وبين أسفل سافلين ، بالنسبة للقهار القادر ، وأنه جل جلاله هو الفاعل المختار لا يسئل عما يفعل ، فله المجد والكبرياء والنزاهة والطهر والقداسة ، يقرب ما شاء ـ لا لأن الذى قربه يستحق القرب ـ ويرفع ماشاء ـ فضلا وإحسانا ..

ولما كان القهار اسما من أسمائه الحسنى ـ وأسماؤه كلها حسنى ـ قهر العالم الأعلى قهرا هو عين الإحسان إليه ليحفظ الله له مكانته التى بها يدوم قربه من الله ، وتدوم سلامته من البعد والقطيعة واللعن ، فالقهر فى الحقيقة إحسان ، لأن القهار اسم من أسمائه الحسنى ، قال تعالى : « إنى جاعل فى الأرض خليفة »[١] وقالت الملائكة الذين هم من أصفى الجواهر ـ لوقوفهم عند معرفتهم التى نالوها بقدر مكانتهم من مراتب

(١) سورة البقرة آية ٣٠ .

الوجود لا بقدر الإطلاق الرباني : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك »[1] فكانت تلك نزعة من نزوع النفس الملكية التي علمت من نفسها بتلك الخصوصية بالنسبة لمجانستها للطهارة والصفاء من كدورات المادة ولوازمها ؛ فأثبتت جهلها أمام ربها بعد بيان الحكمة بقولها : « سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا »[2] وقامت الحجة لله تعالى أنه إنما ينفذ ما قدره بحكمه وعلمه بقوله تعالى : « إني أعلم ما لا تعلمون »[3] .

ثم قهرهم قهرا ثانيا بأن جعل آدم أستاذا لهم ومرشدا ، ليزيدهم علما ، وليلزمهم الأدب - مع صفاء جوهرهم للجناب المقدس - فآدم يعني الإنسان والكنز الجامع لأنواع الجواهر من أعلى عليين لأسفل سافلين ، وقد زاده الله على كل حقائق العالم بقوله : « ونفختُ فيه من رُوحي »[4] فالإنسان مخلوق باليدين ، ففيه كل الحقائق ، وهي الحجة التي أقامها الله على إبليس فلعنه وطرده ، فقهر الله من قهر بالإحسان ، وقهر

---

(١) سورة البقرة آية ٣٠ .
(٢) سورة البقرة آية ٣٢ .
(٣) سورة البقرة آية ٣٠ .
(٤) سورة الحجر آية ٢٩ .

من قهر بالانتقام ، وكل الأسماء الإلهية تفيض الخير والإحسان وتفيض القهر والجلال ، ومن تفضل الله عليه بالإحسان والنعم فى الدنيا ولم يشكر نعمة الله عليه كانت عليه عذابا ونقمة يوم القيامة ، فآدم – وهو درة العقد بل وهو من طين لازب – كمل الله به عوالم عالين ، وطرد الله به أهل الشقاء من النفوس الشريرة .

والحجر الأسعد رمز للناس كرمز آدم للملائكة ، وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم – وهو من طين – ليقهرها ليدوم لها القرب من الله والحظوة لديه ، أمر الناس بحج البيت ، وأمرنا رسول الله ﷺ أن نسجد بوجوهنا على الحجر الأسعد ليقهرنا سبحانه وتعالى حفظا لمكانتنا العبدية ، لتعظيم أمره بالطواف حول الكعبة ، ولثم الحجر الأسعد – وهو حجر – ومن خالف الأمر لعن وطرد ، ومن أطاع الأمر رفع ، وهو القهار المحسن بقهره إلى من سبقت لهم الحسنى ، وهو هو الموفق المعين لمن أحبه ، والمقدر البعد على من لم تسبق لهم الحسنى ، وله الحجة

---

(١) سورة الأنبياء آية ٢٣ .

البالغة على خلقه « لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون »[1] وفى الإشارة بيان لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

## آدم وحواء وإبليس :

يقول الله تعالى : « إليه يصعد الكلمُ الطيبُ والعملُ الصالحُ يرفعهُ »[2] فكيف رفع إبليس إلى الجنة ودخلها ؟ ظن بعضهم أن جنة آدم كانت بستانا فى الهند ، وليس الأمر على ما أولوا ، وأن المكان المقدس لا يدخله إلا الطهر حقا ، فكيف دخل إبليس الجنة ؟!!.

هذا مُسَلَّم به ، لأن دخول المكان المقدس على سبيل الكرامة والإقامة مستحيل إلا على أهل هذا المكان ، ولكن الأماكن قد يدخلها الشرط ( الجند ) للابتلاء ، فإبليس ابتلاه الله وابتلى آدم فدخل الجنة لا للتكرمة والإقامة ، ولكن للابتلاء ، وهى جنة الخلد التى فوق السمٰوات .

أما آدم فلم يعلم أنها جنة الخلد ، لأنه لو علم وأكل من الشجرة رغبة فى الخلد بدلالة عدوه لكان كافرا لأنه لم يصدق

---

(١) سورة الأنبياء آية ٢٣ .

(٢) سورة فاطر آية ١٠ .

ربه . ولكن آدم أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها بأمر إبليس وهو لا يعلم أنها جنة الخلد لأنه سمع ربه يقول : « اسكن أنتَ وزوجُك الجنة »[1] ولو أكل عالما لقال الله تعالى : وكفر . ولكنه قال : « وعصى آدمُ ربَّه فغوى »[2] والمعصية هنا حقيقة ، وإن جهل من جهل نفسه فتأول ما لايليق به أن يتأوله ، وويحهم ، يقول الله تعالى : ( وعصى آدم ربه فغوى ) لأنه خالف وأكل من الشجرة ، وأخبرنا الله فى القرآن أنه قال له ولإبليس : « اهبطا منها »[3] ثم قال : ( جميعا ) وهم يتأولون قول الله الظاهر .

وقد قدر الله معصية آدم ومعصية إبليس ليظهر كال إطلاقه فى قدره ، وتدارك لطفه بمن سبقت له عنايته ، ليكون للمسلم مندوحة إذا وقع فى معصية أن يتوب إليه . وقد علمت الملائكة من قبل أن آدم ليس من أهل الجنة ، ولا تكون له دار إقامة إلا بعد أن يتولى ما أخبر الله به من قوله : « إنى جاعل فى الأرض

---

(١) سورة البقرة آية ٣٥ .
(٢) سورة طه آية ١٢١ .
(٣) سورة طه آية ١٢٣ .

خليفة »[1] وتأويل من أول بأن آدم لم يعص سوء أدب مع الله تعالى ، ونظر إلى الحقائق بعين كليلة ، لأن الله لعن إبليس وطرده لمعصيته ،وذلك أنه سبحانه علم منه سوء القصد وإرادة الشر ، وعلم من آدم حسن القصد وإرادة الخير وهى العناية التى سبقت له ، فقدر المعصية وتداركه الله باللطف ، فهى معصية جازاه الله عليها بالإهباط إلى الأرض ، ولم يذكر حواء فى ذكر المعصية لأنها تابعة له فى الأكل ، والحكم على أحد المتساويين حكم عليهما .

والشجرة أشار الله إليها بقوله : ( هذه الشجرة ) ثم أشار إليها عند إتيان معصية آدم بقوله سبحانه : « ألم أنهكما عن تلكما الشجرة » فالإشارة الأولى تعين أن الشجرة كانت مشهودة لآدم ، والثانية تعين أنها كانت بعيدة عنه ، لأنه حجب عن شهود تلك الحقائق لارتكابه المعصية .

وما ورد عن بعض أهل المعرفة من أن معصية آدم كانت صورية فهذا مشهد روحانى ، مأخذه مشاهد التوحيد العالية ، لا يقتضى سوء الأدب مع الشريعة المطهرة . وإذا كنا نتأول

(١) سورة البقرة آية ٣٠ .

أخبار الله الصريحة احتراما لذى مقامٍ عالٍ فنقول : إن آدم لم يعص ، والله يقول : ( وعصى آدم ) ويقول : ( فغوى ) ثم أردف ذلك بقوله : « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى »[1] نكون أخطأنا .

والأولى أن نقف عند خبر الله تعالى ، لأن آدم ومن بعده فى هذا الجناب العلى العظيم عبيد مقهورون ، وعباد مربوبون لم يبلغوا درجة النزاهة والقداسة . والذى قدر المعصية قدر الاصطفاء ، والله يمنحنا الأدب ، ويلهمنا الصواب فى القول والعمل .

وقد وهم بعض من اطلع على كلام المؤولين فى هذه الآيات ، فظن أن هذا كلام السلف الصالح . والحقيقة أن الحديث الشريف الذى أخذ منه السلف الصالح يقتضى أن سيدنا موسى اعتقدها معصية ، وأن آدم عليه السلام اعترف باعتقاده فى صريح حديث البخارى فى قوله عليه الصلاة والسلام : ( حج آدم موسى ) والحديث مشهور ، وإنما تأول بعض العلماء هذه المعصية بأنها صورية لأن الجنة ليست دار

---

(1) سورة طه آية ١٢٢ .

تكليف . ونعم ، كان الرب العلى المطلق لم يكلف أهل الجنة إذا دخلوها بعد هذه الحياة ، ولكنه سبحانه خلق آدم ليكون خليفة فى الأرض ، وأدخله الجنة لحكم لا تحصى منها :

أنه يريه نعيمها ومسراتها قبل إقامته خليفةً فى الأرض ليشتد شوقه إليها ، وليسارع إلى مايوصله إليها من دوام المجاهدة لنفسه وحظه وهواه ، رعاية لحقوق الله تعالى وحقوق نفسه وحقوق العباد ، فأسكنه الجنة ليبتليه بهذا المشهد ، ثم ابتلاه بإبليس ليوقعه فى المعصية ، ليتوب عليه سبحانه ، حتى لا يحصل له اليأس والقنوط إذا عصى الله فى دار الابتلاء ، فيقبل على الله تائباً موقناً بالقبول . .

تقرر من هذا أن آدم لم يدخل الجنة للكرامة والإقامة ، ولكنه دخل لحكمة بالغةٍ بينتُ لك بعضها ، وإذا منحك الله وجود الشهود ألهمت أسرار هذا الإسكان فى الجنة وغيب هذا الابتلاء ، وتراه فى نفسك إذا بلغت مقام الرضا إن شاء الله تعالى ، وعلمت خلق إبليس ، وسر تسليطه على الإنسان ، وغريب تصريفه ، وقدرته على أن يشاركهم فى الأموال والأولاد ، وسر بقائه لليوم المعلوم .

وفى تلك الحقائق من الأسرار ما يقف عندها العقل خاسئاً وحسيراً ، والتسليم سلامة ، والذوق عناية .

**مضنون فى آدم :**

أجلى فيك ما به التعريف لو فقهت ، ومنحك نوراً به التعرف لو علمت ، كما منحك أن تراه فيك وفى الآفاق ، بما اقتضته أسماؤه من الأخلاق ، فكنت مظهراً لظهوره ، أمرك لتظهر مقتضى حكمة إيجادك ، وهى ظهور عبوديتك ، ووفقك لتكون خليفة عنه فى الملك الصغير ، وسيداً وجيهاً متصرفاً فى الملك الكبير ، فأظهر صفاتك للعالم بك فيك ، وأعد لك فيك وفى الآفاق من المشاهد العلية مالا تبلغ ذوقه الكروبيون وأن تدرك منه سبحانه ما ذقته فيك وفى الآفاق ، وما فوق ذلك من الكمال مما تذوقه فى شيء من غيره فذلك ما لا تدرك ، لأنك لم تذقه ، والذوق فوق العلم .

ولن يدركه أحد من العالمين ، فإننا إنما ندرك منه سبحانه ماهو فينا مما لم ينله أحد من العالمين سوانا . والسعادة والشرف الذى حصل لنا هو به سبحانه ليس بنا ذاتيا ، وما ليس لنا ذاتيا يقتضى الشكر ، ومن جهل فغره أنه مخلوق باليدين ، وأنه مظهر وظهور لتظهر صفات الربوبية ، ونسى أنه مظهر أيضاً

لظهور صفات العبودية حرم ذلك الملك الكبير ، ورد إلى أسفل سافلين السعير .

فتفضله بالإيجاد موجب لشكره ، وإحسانه إلينا بخلقه لنا بيديه ، ونفخه فينا من روحه ، وإقامتنا للخلافة عنه سبحانه موجب لعبادته ، ودوام الرهبة منه والخشية .

**الملك الكبير المعبر عنه بالجنة :**

الجنة معلومة لغة وشرعاً ، بينها القرآن المجيد ، ولا خلاف بين المسلمين فى الجنة ، وإن اختلف بعض من لا ذوق لهم فى أنها هل هى موجودة وأين مكانها ؟ وهذا الخلاف مردود على أهله ، لأن القرآن أثبت وجودها ، وأثبت أنها فى عليين وأن النار فى سجين ، بدليل : « كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين »[1] ثم قال : ( إن الأبرار لفى نعيم على الأرائك ينظرون )[2] وقال سبحانه : ( كلا إن كتاب الفجار لفى سجين )[3] ثم قال : ( وإن الفجار لفى جحيم )[4] وقد عينت

---

(١) سورة المطففين آية ١٨ .

(٢) سورة المطففين آية ٢٢ ـ ٢٣

(٣) سورة المطففين آية ٧ .

(٤) سورة الانفطار آية ١٤ .

السنة مكان الجنة فى حديث الإسراء والمعراج ، وقد قال تعالى : ( ولقد رآه نزلةً أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى )[1] .

والجنة جنتان ، قال تعالى : ( ولمن خاف مقام ربه جنتان )[2] والجنتان : عاجلة وهى لأهل مقام الإحسان ، وآجلة وهى لهم ولأهل مقام الإيمان الذين فارقوا الدنيا على الإسلام : فالجنة العاجلة هى جنة الرضا عن الله تعالى ، وهى جنة الشهود وطمأنينة القلب بذكر الله تعالى عند كل شأن من الشؤون ، والكون كله جنة لأهل الرضا ، وهم الذين تنقلب لهم الحقائق لأنهم عند ربهم ، قال تعالى : « قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم »[3] وقال : ( أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرقٍ كالطود العظيم )[4] .

وما تقول أيها المشتاق إلى الجنة العاجلة فى قومٍ عند ربهم لهم مايشاءون ؟! أو تقول فى قومٍ أعانهم الله تعالى ، فجاهدوا

---

(١) سورة النجم آية ١٣ ـ ١٥ .

(٢) سورة الرحمن آية ٤٦ .

(٣) سورة الأنبياء آية ٦٩ .

(٤) سورة الشعراء آية ٦٣ .

فهداهم سبله فرفعهم إلى مقام القرب حيث قوله : ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾[1] ؟! فمن جعل الله لهم المشيئة منحهم الملك الكبير ، ومن جاهدوا فهداهم سبله تفضل عليهم بالنعيم .

فالجنة العاجلة : جنة الأرواح التى تجردت من مقتضيات عناصرها ففرت إلى الله بجاذبة عنايته ، وجنة النعيم المقيم لمن خضعوا لسلطان الشريعة فكانت الدنيا سجناً لهم ـ وإن صرفهم الله فيها أكمل التصريف فى الكون ـ لأنهم تحت سلطان الشريعة فى تصرفاتهم .

## ألق أذن روحك :

الجنة تستر من دخلها فلا يرى ما هو خارجها ولا يراه من هو خارجها ، وهى سر الأخذة الحقية قبل الاصطناع ، ومن أخذه الله عنده ضن به على خلقه فكان من ضنائن الله تعالى ، فلا يرى إلا الوجه حيث ولى وجهه ، ولايراه أحد .

يعرف بها حقيقة ما لديه من الله تعالى ، وهم أهل الجنة العاجلة ، وهؤلاء لايحتاجون إلى جنةٍ آجلة ، وفى بعض الآثار

---

(١) سورة البقرة آية ١١٥ .

أنهم يفرون من الجنة ويقولون : تركناها أحوج مانكون إليها فى الدنيا ، فكيف نطلبها ونحن فى غنى بالمحبوب عنها ؟!!.

الجنة ظهور ظل معانى الصفات مستغرقة لكل المرآة ، والمأخوذ اقتطعه الله فى وجود شهوده ، وستر شهود وجوده ، وهؤلاء كثير فى كل قرنٍ ، فمنهم الهائم على وجهه فى القفار ، ومنهم المستتر عن الخلق بالملامتية[1] والابتذال[2] ، ومنهم الغائب عن الملك سياحة فى الملكوت ، ومنهم العاكف بقلبه على ربه معتزلا الناس بعد فقد خياله ووهمه ، فإن الخلوة لا يأذن بها المرشد لذى خيالٍ أو وهمٍ ، ولبس خرقة الملامتية لا يأمر به المرشد إلا لمن حصنه الله تعالى بالآداب الشرعية . ومنهم المخمور الذى لا يفيق ، ومنهم ، ومنهم ، وقد فصلت مجمل هذا فيما سبق من الكتب ، وكل هؤلاء فى الجنة ، يعنى فى الستر .

وفوق ذلك جنة : خذ بأذن السر ، أفراد أبدال الرسل الذين هم عشرة رجال أو خمسة أو سبعة ، هم جنة عالية ،

---

(١) الملامتية صفة لقوم من الصوفية يلومهم الغير على كل مايفعلونه ، وتلومهم أنفسهم إذا أخطأوا أو إذا فعلوا الخير ناقصا غير كامل ، والنفس اللوامة جزء لا يتجزأ من تكوينهم .

(٢) الابتذال : عدم صيانة الثوب .

وهم الشجر الذى غرسه الحق بيده ، وهم المعنيون بسبعين ألف حجاب من النور ، ستروا عن العقول والأوهام والخيالات بساطعة وميض الأحدية ، أو رذاذ غيث الواحديَّة ، أو نور زيت المشكاة المحمدى ، قال سبحانه : « هم درجات عند الله »(١) وهناك جنة أعلى لاتفى بها الإشارة ولاتبينها العبارة ، وهى تؤخذ بشذرات يبوح بها أهل الاتحاد(٢) فى مقام القهر الوجودى بعد الجذب الفنائى ، قال تعالى : « وما أُوتيتم من العلم إلا قليلا »(٣) .

## جنـــة آدم :

بينت لك أنواع الجنان ، والجنة الآجلة ثمان درجات ومفاتيحها جوارحك المجترحة : القلب وجنوده ، ولما كان آدم هو المخلوق الذى تجلى فيه الحق لخلقه كما ورد ، أدخله فى الجنة التى فيها مسرات الحس ونعيم الجسم ، وغذاء الروح من

---

(١) سورة آل عمران آية ١٦٣ .

(٢) الاتحاد : أن تشهد الوجود لله الواحد الأحد أى أنك ترى كل شئ بالحق موجود ومعدوم بنفسه لا من حيث أن لك وجوداً خاصاً اتحد بالحق لأن هذا محال .

الحكمة ، ومحبة الله تعالى ، ليشتاق إليها بعد رده ـ وتلك الجنة هي طبقة من الفردوس ـ بدليل قوله تعالى : « ثم رددناه أسفل سافلين »[1] ، وبدليل : « فأكلا منها فبدت لها سوءاتهما »[2] ، ومعلوم أن الجنة لاتقع فيها المعصية ، فقدر الله المعصية على آدم فى الجنة ليرده عنها عدلاً ، بعد أن أدخله فضلا ، وليعلمه أنه أخرجه منها بذنب فكيف يدخل فيها من عصاه فى الدنيا ؟! وليشجع خلقه على التوبة عند وقوع المعصية .

وقد بينت لك أن الله غرس الإنسان بيده فى جنة عدنه ، فالإنسان شجرة ربه ، وهو السدرة التى رأسها مغروس فى العرش وأطرافها مدلاة على الجنة ، وتلك الشجرة التى هى صورة الحق لها ثمر هو جمالها الذى يجب أن يحفظ لزارعها سبحانه ، فإذا تجاوز الإنسان حد العبودية وتناول ما هو خاص بربه ، عصى وغوى لحكمة بينت لك بعضها ، فرد إلى الأرض ليرتقى إلى مقامات القرب وليتجمل بجمال الخلافة ، فيكون مرآة لظهور معانى صفات ربه ، وحقيقة هى مظهر لظهور

---

(١) سورة التين آية ٥ .

(٢) سورة طه آية ١٢١ .

صفات نفسه وهى العبودية ، واسمع وسلم إن لم تذق ، فإن من حرم التسليم والذوق حرم الخير كله .

أودع الله أمانته فى آدم فنسى آدم ونسب لنفسه ماليس له فكان ما كان من ظهور سوءته ومن شدة وجله ، والله غالب على أمره ، قال سبحانه : ( ونبلوكم بالشر والخير فتنة )[1] وإن ما أكل آدم مافيه من أمانه باريه ، منحنا الله الذوق ، وجملنا بالشوق ، وحفظنا من الإنكار ، إنه مجيب الدعاء .

---

(١) سورة الأنبياء آية ٣٥ .

# الفصل الثانى
# من المضنون فى علوم اليقين

**القــرآن :**[1]

القرآن المجيد مورد آل العزائم الروى ، وروضهم الجنى وحوضهم المورود ، وكوثرهم المشهود ، وميزان أحوالهم ، ومرجع مقاماتهم ، يسألونه قبل العمل ، فإن أذن سارعوا ، وإن منع تركوا واستغفروا ، فهو الإمام الناطق وإن صمت ، لأنهم يسمعونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسمعه آذان قلوبهم حضوراً ووجوداً ، وإن كان التالى له إنساناً آخر . وقفت بهم همتهم العلية على القرآن فأحلوا حلاله وحرموا حرامه ، لو أمرهم بقتل أنفسهم لقتلوها ، أو مفارقة أموالهم وأولادهم لفارقوها فرحين بالسمع والطاعة ، تجلت لهم حقائق القرآن جلية ، وانبلجت لهم أنواره العلية ظاهرة ، فلم تبق بهم همة إلا فى القرآن ، ولا رغبة إلا فيه .

أحبوا القرآن حبا ينبىء عن كمال حبهم للمتكلم سبحانه ،

(١) راجع كتاب ( شراب الأرواح ) ص ٢٦ .

كاشفهم الله تعالى بمراده فى كلامه ، وبحكمته فى أحكامه ، فكان سبحانه وتعالى أقرب إليهم من أنفسهم ، وتجلى لهم سبحانه فى كلامه العزيز حتى كان الرجل منهم إذا سئل لم تعمل هذا ؟ يقول : أمرنى القرآن ، ولم تترك هذا ؟ يقول : نهانى القرآن ، وإذا طلب منه أمر يقول : مه حتى أستشير القرآن ، فيقرأ القرآن المرة والمرتين ، حتى تتضح له حقيقة حاله ، وسر قصده ، فيسارع إلى التنفيذ أو إلى الترك .

فالقرآن طهور الحب ، وحلل القرب ، ولا يوفق للعمل بالقرآن إلا من جذبته العناية ، واقتطعته المشيئة ، واختطفته محبة الله السابقة له .

واعلم أنه لايجد فهم القرآن عبد فيه أدنى بدعة ، أو مصر على ذنب ، أو فى قلبه كبر ، أو مقارف لهوى قد استكن فى قلبه ، أو محب للدنيا ، أو عبد غير متحقق بالإيمان ، ولا مَن هو واقف عند مبناه غافل عن معناه ، ولا ناظر إلى قول مفسر ساكن إلى علمه الظاهر ، ولا راجع إلى معقوله . فهؤلاء كلهم محجوبون بعقولهم ، مردودون إلى ما يقرر فى علومهم ، موقفون مع ما تقرر فى عقولهم .

أما العبد الذى يجد حلاوة القرآن ، ويكاشف بمشاهدته

فهو من قرأ ملقيا السمع بين يدى سميعه ، مصغيا إلى سر كلامه ، شهيد القلب لمعانى صفات شهيده ، ناظراً إلى قدرته ، تاركاً لمعقوله ، متبرئاً من حوله وقوته ، معظماً للمتكلم ، واقفا على حدوده ، مفتقراً إلى الفهم بحالٍ مستقيم ، وقلب سليمٍ ، وصفاء يقينٍ ، وقوة علم وتمكين ، سمع فصل الخطاب ، وشهد علم غيب الجواب .

## قبس من المضنون فى القرآن :

رتل القرآن فى الاتحاد ، واتل كتاب ربك فى الاصطناع واصغ بأذن روحك لقراءة القرآن من مُنزله ، ثم اتبع قرآنه ترتيلاً ولا تعجل ، فإنك فى مقام بقاء بعد الفناء ، فالترتيل للقرآن شهود معانى صفات المتكلم فى كلامه ، وانبلاج أنوار حقائق الغيب المصون من الأسماء والصفات ، والغيب المضنون من مجلى الذات . وإنما يرتل القرآن ويتلو الكتاب ويقرأ القرآن السامع له من المتكلم سبحانه .

فالقرآن : إشارة إلى الكمال الذاتى ، وسورة الإخلاص ثلث القرآن ، وآية الكرسى ربع القرآن ، لبيانها للغيب المصون . والكتاب المرتل : أحكام وحكم . والذكر : أخبار وعبر . والنور .تبيان للوصول . والفرقان . بيان للحجة ،

واتضاح للمحجة . وإنما يرتل القرآن من منح العيان بعد البيان .

**الأمانـــة :**

الأمانة وما أدراك ما الأمانه ؟ غيب مكنون عن الروح به مضنون ، أشفقت السموات والأرض أن يحملنه خوفاً من التكليف ، وقد فازت بالتعريف ، وخشية من الظهور فى البطون ، ومن البطون فى الظهور .

**الأمانة** : هو ما حملته أمانة لديك ، ليس منك ولا فيك ، ولكنه منه جل جلاله ، والذى يصل إليه يفوز بالحظوة لديه ، ولأجله أمرت بالرياضات ، وكلفت بالمجاهدات ، ليحصل لك التوجه الذى به تواجه .

إذا أمكنك أن تدفع الواردات عن القلب بذكر اللسان فى منزلة الإنسان ، وأمكنك أن تذكر بالقلب مع إمساك اللسان ، وأمكنك أن تذكر بالقلب واللسان حضورا وغيابا ، لديها يظهر لك خافيك ، وتقع العين على العين بلا بين .

أحب ما فيك منه ، فهو المحبوب جل جلاله له لا أنت . وأحببه بما فيك منه ، إذا تجردت من مقتضيات عناصرك .

بالأمانة كلفت وعرفت ، وهى الثواب والعقاب ، إذا راق الشراب ، وكشف الحجاب عن بديع جمال الجناب .

محل الأمانة هو القلب الذى هو عرش الرحمن ـ لا الشكل الصنوبرى ـ المقلب فى الأكوان . حملها الإنسان فكان ظلوما جهولا حتى يحملها ، فيكون محمولا لا حاملاً ، وإشراقا لا مشرقا ، يصفو اللطيف من الكثيف ، ويحمل اللطيف بنوره هذا الكثيف ، فيكون الإنسان الكامل ـ وهو فى سافل المكان ـ فى أعلى مكان .

يرى بما فيه من الأمانة وجه الله حيث ولى ، ويلحظ بسره غيب القدس الأعلى حيث صلى . إذا لمع وميضها أخفى السور والرسم ، ومحا الوسم ، وألبس المحمول تاج الخلافة عن ربه ، وساح فى ملكوته الأعلى فأشرف على قدس عزته وجبروته .

الأمانة وما أدراك ما الأمانة ؟ نور معانى الصفات فى مرآة صقلت بالمواجهة ، وجملت بالمنازلة ، فظهر الغيب المصون ، وخفى المشهود بالعيون .

بالأمانة القرب والحب ، إذا وفى فصفا حاملها . والوفا الاتباع مجاهدة ، والصفا الاصطلام مواجهة ، وهما واحد وإن

كانا اثنين ، إذا زال الرين وأشرقت أنوار العين على العين ، وانكشفت حقائق الأشياء بحقيقة الاستجلاء .

هى الأمانةُ أوصافٌ وأخلاقُ بها الحنينُ إذا ما لاح إشراقُ
إشراقُها حضرةُ المحبوبِ يُظهرها فيشهدُ الغيبَ أفرادٌ وعشاقُ
هى الأمانة فوق العالمين علا يُجْلي غوامضَها فى القربِ خَلَّاقُ
الرُّوحُ ظِلٌّ لها تُبدى محاسنَها بهاَ يصح الصفا والوصلُ إغراقُ
أنوارهُا أصعقت أهلَ الصفا جَذَبَتْ
أهلَ الفَنَا ولهم فى الحبِّ إشفاقُ
قد أسجدت لأبى الإنسان عَالَمَهُ
غيبٌ فلم تَرَهَا روحٌ وأحداقُ

**العلم :**

العلم الإلهى مبدؤه رعاية ما حصلته من العلوم ، ووسطه شهود الأشياء قامت بالحى القيوم ، حتى تشرق أنوار وجه الله فتحجب كون العارف حتى يراه . ونهايته إشراق نور الحكمة جلية مستبينة بها حقيقة الأشياء ، فيكون العبد عبداً مقهوراً بقهار ، مربوبا لرب غفار ، مشاهدا لأنوار قوله تعالى :

« وما خلقتُ الجنَّ والإنس إلا ليعبدون »[1] وهذه مراتب العلم الإلهى ، ثم الذوق ، فالكشف ، فالشهود ، فالفناء عنه ، ثم الفناء عن الفناء ، ولديها يكون العبد ربانيا يسمع بالله ويبصر بالله .

المتمكن يتلقى من الرب بالقلب ، لأن التمكين نور الله الذى يجعله فى قلوب أهل محبته ، وهذا القلب هو النور الذى تستبين به الحقائق سر قوله ﷺ : « واجعلنى كلى نورا » .

ولما كان هذا القلب متعلقا بالملأ الأعلى ، فإن كل مايرد عليه بين وارد ملكوتى أو وارد رحمانى ، وقلبه هو الحاكم عليه. حتى ولو خالف حكمه حكم الوقت ( استفتَ قلبَك ولو أفتاك وأفتوك المفتون ) .

بين العلم والرعاية كما بين الغذاء ومستعمله فقد يوجد العلم وليس محله قابلا ، وقد يوجد القابل ولاعلم ، ومتى وجد العلم والقابل كان محله عالما ، وهو صفة الله تعالى ، وما أظل القدس بظله عبداً إلا وأخفاه عن نار بشريته ، وشرار إبليسيته ، وبرد جماديته ، ومقتضى نباتيته ، إلا ما لابد منه مما به حفظ الرتبة العبدية الحقة أمام مكانة الرب ( ولمن خاف

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦ .

مقام ربه جنتان )[1] ومن كان فى الجنة لاتميل به الشؤون مهما اقتضاها مكانه الحيوانى أو مقامه الإنسانى ، لاختطافه بيد العناية مع انغماسه فى كل ذلك ، ونظره إلى الأسباب موجبة قائمة بعينى رأسه ، واختفائها عن عيون بصيرته بسطوع أنوار المسبب جل جلاله ، هذا فى حضرة القلب .

وإذا كان القلب برزخاً بين الروح والفؤاد كان الإنسان مشكاة تلك الأنوار مثالاً ، وحقيقتها نيابة ، ونورها فيضاً قدسياً للعالم أجمع ، وهو فى نظره صلصال من طين ، أو ماء مهين ، لا يراه من رآه إلا إذا سمع خبره وذكراه ممن رآه حقا .

**العالـــم :**

العالم ثلاثة :

١ ـ ربانى تكشف له حكم الأحكام .

٢ ـ ونورانى تكشف له معانى الأسماء والصفات .

٣ ـ وذاتى مؤله ممحوق دون فناء كالان الذات .

فالربانى بين الحكمة عن عيانها ، والنورانى بين أسرار التجلى

---

(١) سورة الرحمن آية ٤٦ .

عن عيانها ، والذاتى يحرق القلوب بالشوق إلى الله عن غيب مصون لا يلحظ .

لهذا أشهد خير رسله عن عيان ، قال تعالى : ( وكذلك نرى إبراهيم )[1] عند شهادته للخلق ، وكذلك : ( سبحان الذى أسرى بعبده )[2] ليكون ما يخبر به عباد الله خبرا عن عيان . وورثة رسل الله ، ما كان حق يقين للرسول هو عين يقين لهم ، وما كان عين يقين للرسول علم يقين لهم ، وما كان علم يقين للرسول ﷺ تسليما منهم له وإيمانا بالغيب .

**الإيمـــان[1] :**

يقين عن تسليم يباشر القلب فيتسع له تجويفه حتى يمتلىء اعتقاداً بما ورد به القرآن الكريم وقررته السنة المحمدية من عقائد تزيل الشرك والشك ، ويطمئن به طمأنينة تبعث من كمال يقينه انشراحاً يعم كل الأعضاء ، فيكون المؤمن على بينة

---

(١) سورة الأنعام آية ٧٥ .

(٢) سورة الإسراء آية ١ .

(١) انظر ( شراب الأرواح ) ص ٧٧ ( ومعارج المقربين ) الفصل الثانى من الباب الثالث .

من ربه ، ويقوى هذا الانشراح بقوة الإيمان ، فتلين جميع الأعضاء للقيام ـ بحسب الاستطاعة عن توفيق الموفق سبحانه ـ بجميع الأوامر الشرعية بسرور ولذة وحبور ، لا يشوب ذلك مهل ولا تهاون . وعلامة الإيمان اشتغال العبد بعيوب نفسه ، ودوام مراقبتها فى سرها وعلنها ، حتى لا يهم إلا بما هو لله سبحانه خالصا .

متى ارتسمت صورة الإيمان بمعانى المؤمن به على جوهر النفس حصل اليقين بلا لبس ، وليس بعد العيان بيان ، ومن رسم صور حظوظه وشهواته على جوهر نفسه تسلى بما يفنى وأنس بما يزول ، وحصلت له الوحشة من الحق ، والأنس بالخلق ، ولديها يكشف الله ستره عنه فيبغضه الحق والخلق .

لا إيمان إلا بعد الانتشال من وحلة التوحيد وبادية الإلحاد .

المؤمن لا يغيب عنه رسول الله ﷺ إن لم يكن عيانا فبيانا .

إذا باشر نور الإيمان سويداء القلب اطمأن القلب إليه ، لأنه تهش إليه النفس وتبش .

أهل القلوب فى شغل بعلام الغيوب عن العيوب ، فكيف يشتغلون بالجيوب ؟!!.

المؤمن العبد مرآة المؤمن الحق .

علم الإيمان ينتج شهود الملكوت ، وعلم الإيقان يشرف بصاحبه على قدس العزة والجبروت .

للطيـفِ الخبيـرِ أرفـعُ أمْـرِى
وبهِ في الوجـودِ يرفـع قَدرى

كيف يَرْجُو عبد من العبد غوناً
والكريُم الحليمُ عَوْنِى وذُخْـرِي

وَيقِينـي بالله أضحـىَ قويـا
بفـؤادِي وظاهـرِي وبسرى

بين مشاهد أهل الإيمان ومشاهد أهل اليقين الحق ، كما بين الكادح فى الكون والمؤانس بالمكوِّن ، فأهل الإيمان لهم السياحة فى ملكوته ، وأهل اليقين لهم الإشراف على قدس عزته وجبروته ، قرب منهم بنعموته ، وقربهم إليه بما جملهم به من كمال العبودية لعزته وجبروته .

والعبودة فوق الرسالة قدرا ، فإن العبد مقبل بالكلية على الرب ، والرسول مقبل بالكلية على الخلق ولذلك فإنك تقول : ( أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ) فتبدأ بالعبودة قبل الرسالة لشرفها ومكانتها العلية ، وإنما أعنى بالعبودة عبودة الرسل لا عبودة الأولياء والأنبياء ، وكذلك

العبودة فى مقام الولاية فوق الدعوة إلى الله سر قوله سبحانه : « سبحان الذى أسرى بعبده »[1] .

## التوحيـــد[2] :

التوحيد ثلاثة أنواع :

أولا : توحيد الله .

ثانيا : توحيد الناس الله بالله .

ثالثا : توحيد الناس الله بأنفسهم ، وهذا هو الشرك الخفى .

التوحيد محو غير الواحد مع قيام الثانى بالقيومية ، مسارعا إلى ما يحبه الواحد ، وإن حرم الثانى ما يحبه .

التوحيد أوله تسليم ، ووسطه اتحاد بالعليم ، وآخره قيام بالقيومية على النهج القويم .

مشهد التوحيد خفى على أهل العقول ، ونوره جلى لأهل الوصول ، وليس من ارتاب بأدلة العقول أهلاً لأن يذوق

---

(١) سورة الإسراء آية ١

(٢) انظر ( دستور آداب السلوك ) الباب الرابع للإمام المجدد أبى العزائم .

حلاوة التوحيد ، ولا من بحث عن الواحد بالدليل ، محلا لشهود جمال الجميل ، قال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيتَ ويسلموا تسليما »(١) .

لايبلغ السالك مرتبة الوفا إلا بكمال التسليم ، فكيف ينال مقام الصفا وهو يرغب فى دار النعيم ؟!!.

منازعة العقول لكوكب الإيمان أفول ، ونزوع النفوس بُعْدٌ عن حضرة القدوس .

السكر فى التوحيد نجاة ، والصحو مع كشف علوم التوحيد هلاك . وقد نجا بهلول وأبو يزيد مع استغراقهما بسكرهما ، وإنما أضر الحلاج صحوه ، فاحفظ الأدب فى الصحو واحذر أن تبين كل البيان ، فإن ذلك حرمان ، وكشف سر الربوبية كفر ، فإذا اختطفك منك فقطعك له فكن كيف شئت ، وإياك والتقليد .

شتان بين من يعامل الله بالعبودية ، وبين من يعرف الله بالوحدانية .

---

(١) سورة النساء آية ٦٥ .

من شهد بعين الأزلية محا الأبدية فشهد الواحد .

من نظر إلى القدرة وغفل عن الحكمة فلم ير عبدا فهو غاو .

ومن نظر إلى الحكمة وغفل عن القدرة ولم يذق حلاوة التوحيد ، فهو مشرك .

الغيب عنك فيك ، رفرف مراقيك . والغيب عنك فى الآفاق براق الالتحاق . والغيب عنك فيه نور الاتحاد والانتشال من وحلة البعاد ، وإن ما تشهده عيونه المفاضة من قدسه إذا ظللك بظلال قدسه .

ما بينك وبين الكمال الذى تكون فيه ليس لك رب إلا الله إلا أن تنظر نظرة فى نفسك وفيما حولك ، أو تسوح بنفسك الطاهرة فى ملكوت السموات والأرض ، وهى لمحة بها تقع الصلحة ، فكيف تبخل على نفسك بما به دوام أنسك ؟!.

ليس بين الجنة والنار إلا نظرة بعين السر تستبين بها الحقائق ، وتظهر بها غوامض الآيات للأعين جليات .

ليس بين أن تراك وبين أن ترى وجه ربك محيطاً بك إلا تنزل بالرعاية ، أو حضور بالفكرة ، أو نظرة بالعبرة ، لتعرف من أنت ، فإذا تحققت بمعرفة من أنت تجلت لك آياته فيك وفى

الآفاق ، فجذبتك إلى طهور الشراب ، فسكرت ، فطبت ، فغبت عنك به فكنت له حقا ، قال تعالى : « وقد خلقتُك من قبلُ ولم تك شيئا »[1] وكان لك شهودا ، وبالتنزيه معك ، قال تعالى : « الله وليُّ الذين آمنوا »[2] وقال : « فقل حسبى الله »[3] وقال تعالى ناطقا على ألسنة أوليائه : « وقالوا حسبُنا الله ونعمَ الوكيلُ »[4] فهو وليك ووكيلك وحسبك ، فمن إذاً لك غيره ؟ .

**النفـــس[1] :**

هى اللطيفة النورانية ، الجوهرة الربانية ، والحقيقة التى لا تدرك بحس ولا عقل ، بل ولا لها إلا بخواصها . وإنما ترى وتعلم بقدر الرائى والعالم بها لا بقدرها ، والعجز عن إدراكها بحقيقتها وكنهها وهويتها برهان ناصع على عجز أكمل كائن عن إدراك ساطعة نور من أنوار الأسماء ، فكيف تدرك الهوية فى

---

(1) سورة مريم آية ٩ .
(2) سورة البقرة آية ٢٥٧ .
(3) سورة التوبة آية ١٢٩ .
(4) سورة آل عمران آية ١٧٣ .

(1) انظر ( شراب الأرواح ) و ( معارج المقربين ) فى : الأصل الأول للوصول إلى الله .

غيب غيبها ، وظلمة عمائها ؟؟ ومن عرف نفسه عرف ربه ، وفوق ذلك من الأسرار الخفية ما لا يشار إليه ، ولا يباح بالعبارة ، إذ نهاية العبارة علم التوحيد وعلم ما فى المادة من الخواص والآيات ، فالإشارة بعد ذلك ، فالإمساك للعجز عن البيان بأى طريق من طرقه ، وإنما هى مواجهات تصحبها ملاطفات ، ومؤانسات تصحبها منازلات فوق الأرواح ، إلا إذا اختطفها الفتاح ، وهناك خواص النفخة القدسية ، وهى عن كل كائن علية .

النفوس المعروفة سبعة أنواع : جمادية ، فنباتية ، فحيوانية فإبليسية ، فملكوتية ، فقدسية ، فالنفس الكلية .

ولكل نوع مقاصد وأحكام ، ومشاهد وملاذ وآلام ، ولكل نفس منها حكمة . والكامل فى الحقيقة من تفضل الله عليه بالعلم بما لكل نفس ، وأعانه على القيام به ، حتى يتمتع بجمال الله فى كل كائن بحسب كل نفس . ومن فاته شهود آياته فى كل كائن ، فاته من معرفة الله بقدر ما جهل ، قال تعالى : ( وتؤمنون بالكتاب كله )[1] وليس بقدوة من قهرت نفس

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٩ .

من النفوس عنده بقية الأنفس فجعلتها عاطلة ، وإن أنس بمشهد عليٍّ .

## عقل وحس ونفس :

العقل له دائرة اختصاصية لايتعداها . كما أن الحس كذلك ، والحس إذا أدرك مدركا لايلبث حتى يغيب ، فإذا غاب زال مالم يكن المدرك قويا فى التأثير فإنه يبقى زمناً ، والعقل إذا أدرك شيئا بقى فيه . وهناك قوة تدرك ما وراء المادة ، فالحس يدرك المحسوسات ، والعقل يدرك الخواص فى الكائنات ، أما معانى ما فوق المادة فتدركها النفس « الروح الملكية » وهى التى تؤمن بالغيب ولو لم يساعدها العقل ، وهى موجودة فى الهيكل بلا اتصال ولا انفصال .

إذا غلبت النفس البشرية صار الإنسان شيطانا ، وإذا غلبت الملكية صار الإنسان خليفة عن ربه .

لا تعجب إذا صارت النفس الملكية محجوبة عن عالمها فإنها تذل لأظلم سلطان ، وهى مسخرة للإنسان ، فقد يستعمل ما يوصل إلى الله للإفساد فى الأرض ، وهو العلم بأحكام الله تعالى .

جبلت النفوس على حب مُشاكِلِها مبنى ومضادها معنى ، فهى تميل إلى مشاكلها مبنى بتلذذ الحس بمشهد التناسب الجمالى ، وتميل إلى مضادها معنى ليمكنها أن تجذبه إليها بأحاديث ما فيها من الجمال الذى ليس فى الآخر ، فترى الغنى يميل إلى الفقير ،والعالم يميل إلى الجاهل ، وهى صبغة الله التى صبغ بها الإنسان ، فإن الله يحب من عباده من جمله بضد صفاته ، وهو التواضع والذل والتسليم .

## تزكية النفوس :

قال سبحانه وتعالى : ( ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها )[1] طالبنا سبحانه بأن نزكى أنفسنا فيما منحنا التمكين منه بحسب ما بين لنا فى كتابه سبحانه ، وفى سنن نبيه صلوات الله وسلامه عليه ، وهو المكلف والمعرف سبحانه ، والهادى المعين جل جلاله ، ففى قوله : ( من زكاها ) تجب رعاية توفيقه وهدايته وعنايته ، فلنا منه ما به تزكو نفوسنا ، وعلينا السمع والطاعة لأمره ، والمسارعة إلى القيام بأحكامه ، مع رعاية مشاهد التوحيد

(١) سورة الشمس آية ٧ ـ ٩ .

وحقوق العبودة ، فهذا التكليف شاق للسالك ، وسهل ميسور للواصل ، وأنس فى رياضة النفس وجهادها للمتمكن .

فالسالك مكلف مجهود ، وعامل مكدود . والواصل متقرب إلى الله بتوفيقه ، فرح بفضل الله عليه ، ورحمته به . والمتمكن آنس فى مقام الإحسان بالمحسن ، مبتهج بالإحسان .

وهنا أفهمك أيها الأخ السالك إلى الله ، أن المراد ـ والله أعلم ـ فى قوله تعالى : ( فلا تزكوا أنفسكم )[1] لا تحكموا لها بالكمال الذى ينسيكم فطرها ، فتهملوا جهادها ، فإن تزكية النفوس تلزم رعايتها لأهل المراتب العالية مهما بلغوا من الكمالات ، فإن العبد عبد وإن علا ، والرب رب وإن تنزل .

وتزكية النفس هى تطهيرها من كثافة الجمادية ، ووقوف النباتية ، ورعونات الحيوانية ، وسعير الإبليسية ، وتشبيه الملكية . فإن الإنسان الكامل وسط كما قال تعالى : ( وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ) أى : أشهدكم من غيب القدرة وأسرار الحكمة ، وجلى أنوار

---

(١) سورة النجم آية ٣٢ .

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣ .

القيومية ، وما أطلعكم عليه من أسرار الإيجاد والإمداد ، وما واجهكم به من لوامع أنوار التجلي وسواطع أسرار التوحيد فى مقام التفريد[1] من غيب ( واحد ) وغوامض غيوب التنزيه فى غيب غيب ( أحد ) ، فإن البشرية لاتفارق إنسانا ما كيف كان ، وأين كان ، حتى يفارق تلك الحياة الدنيا إلى الحياة الروحانية معنى قوله ﷺ : ( إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا وقوله سبحانه : ( وإن الدار الآخرة لهى الحيوان )[2] وقوله سبحانه : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة »[3] .

إذا زكت النفس من اللبس ، ونظرت بعين القدس وُوجهَتْ بالوجه العلىّ على بساط الأنس ، قال تعالى : ( ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون )[4] .

هِىَ الـــروُحُ تَصْفـــُو تَشْهَــــدُ الأنْوَار
يَلُـــوحُ لَهــــاَ الحق العَلِـــىُّ جهَـــــاراَ

(١) التفريد : وقوفك بالحق معك وهو اسم لتخليص الإشارة إلى الحق ثم بالحق ثم عن الحق .

(٢) سورة العنكبوت آية ٦٤ .

(٣) سورة يونس آية ٢٦ .

(٤) سورة الواقعة آية ٨٥ .

هِىَ النَّفسُ تَزْكُو تبلغُ الآمَالاَ
هُوَ الْعَقْلُ يَصْفُو يُمْنَحُ الأَسرَارَا
هِىَ الرُّوحُ تُجْلىَ للمُرَادِ إذاَ صَفَا
تُفِيضُ عَلَيْهِ خَيرَهَا مِدْرَارَا
فَجرَّدْ مِنْ الرَّسْمْ الدنِىء جَمَالها
وَفيهَا اتَّخذْ تَشْهَد ضِياً أقدارا
تَرىَ العَالَمَ الأَعْلَى شُهُودًا مُؤَيدا
تَكُونُ كَنُورِ الشَّمْسِ لاَحَ نَهَارَا
هِىَ الرُّوحُ شَمْسٌ أشْرَقَتْ في مَظَاهِرٍ
ألاَحَتْ لَنَا الوهابَ والغفارَا
إذاَ أشْرَقَتْ فى الرَّسْمِ أخْيَتْ مَعَالِماً
وَأخْفَتْ ظِلاَلَ الظُّلْمِ فَالآثَارَا
هِىَ الرُّوحُ طهرهَا مِنَ اللبس وَالخَنَا
فَإنَّ قَوِيمَ الْعَقْلِ فِيهَا احتاراً
تَجَرَّدْ مِنَ الأَهْواَ مِنَ الحظ والْجَفَا
وَأقْبِلْ عَلَى اللهِ الْعَلىِّ جهَارَا
هِىَ الرُّوحُ جَرِّدْهَا مِنَ السُّفْلِ سَارِعاً
إلَىَ الْحقِّ مُضطرا إلَيْهِ فِرَارَا

تَمَسَّكْ بآثَــارِ الأئمــةِ جَاهِــدَن
تَرَ مُنْعِمــاً بَرا قَوِيــا وَقَهَّــارَا

إنما تزكو النفس بحب عن شهود ، أو بوجد عن علم ، أو بضرورة داعية . ومتى زكت النفس أكسبت الجسم ميلاً إلى الوجهة التى بها تزكيتها : قال تعالى : « قد أفلح من تزكى »(١) .

من لم يتتبع مواضع الضعف من نفسه ، فيقويها عاش فى شقاء .

كمل نفسك بغيرك ، ولا تكمل غيرك بنفسك ، فإنما جعل الغير لتكمل به حتى تصل إلى العين . ومن كمل غيره بنفسه كان كالسراج يضىء لغيره ، ومن كمل نفسه بغيره كان كالشجرة الطيبة تتكمل بكل ما حولها ، ومتى كملت نفعت غيرها .

زك نفسك قبل السماع ، لتشرق عليك أنوار المعرفة ، فإن النفس كالبدن إن لم يكن قويا كلما غذيته ازداد مرضاً .

---

(١) سورة الأعلى آية ١٤ .

بالحال تزكية النفوس ، لا بالفلوس والدروس ، قال سبحانه وتعالى : « قد أفلح من زكاها »[1] .

إذا زكت النفس بالتوجه والأنس ، رأت الغيب ، وظهرت الآيات جلية فى الكائنات ، وأسبغت على المشاهد المحبوب الهبات .

إذا سطعت أنوار الروح على النفس الزكية ، منحت العيشة الرضية فى مقام القرب من الرب ، والأنس بشهود جماله ، جذبا لنيل وصاله .

**الحياة :**

الحياة الروحانية تظهر بالحال والمقال ، والحياة الجسمانية تظهر بالحظ والشهوة ، فمتى قامت الحجة على أن الإنسان فى حياة روحانية فلا تؤاخذه بسيئاته ، قال الله تعالى : « أولئك الذين نتقبل عنهم أحسنَ ماعملوا ونتجاوزُ عن سيئاتهم فى أصحابِ الجنةِ وَعْدَ الصدقِ الذى كانوا يُوعَدون »[2] وإذا ظهرت الحياة الجسمانية فى إنسان فلا تعبأ بحسناته ، قال

---

(١) سورة الشمس آية ٩ .
(٢) سورة الأحقاف آية ١٦

تعالى : « وقدِمْنَا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثوراً »[1] .

والحياة القدسية تظهر بالإشارات فى أخفى الخفا من أنوار مجلى الذات ، ومتى شهدت فى رجل تلك الحياة فصفّ له قلبك وأمسك عنه لسانك ــ وإن أنكرت أحواله وأعماله بحسب مقامك ( فإن الجاهل به بمقام عدوه ) وإن لم تستطع أن تسلم له فاجتنبه ، فإن من حرم الذوق والتسلم ربما وقع فى الاعتراض ، فأصبح غير راض عن الله ، ومن حرم الرضا عن الله حرم النفع بما حصل .

والحياة الإبليسية تظهر فى الهمم والإرادات ، فإذا ظهرت فى إنسان فاجتنبه ــ وإن أثرت همته وإرادته فى العالم ــ فإن الله تعالى قد يستدرج من يشاء بما يشاء ، وقد ينطق بالحكمة ذو الحياة الإبليسية ، لأنه يستمد من سافلين النأى ، قال تعالى : « لينفق ذُو سعةٍ من سَعَتِه »[2] فلا تغتر له .

متى صحت حياة الروح ذكرت الله قائما وقاعدا ونائما لأن الجسم لا بد له من النوم ، والروح لا تنام إذا صحت

---

(١) سورة الفرقان آية ٢٣ .

(٢) سورة الطلاق آية ٧ .

حياتها الروحانية ، قال تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جُنوبهم »[1] .

من أحياه الله بالحى القيوم لايموت وإن مات جسده ، ومن مات بالإرادة أحياه الله بالفضل حياة طيبة .

**الجواذب :**

الجواذب ثلاث : جذبة العرفان ، وجذبة المراقبة ، وجذبة العناية .

فجذبة العرفان مبدؤها صحبة العارف ، ووسطها استغراق كلية القلب فى محبته ، ونهايتها دخول السالك فى قلب العارف ، فينظر الله إليه فيه ، فتشرق عليه أنوار معانى الصفات فتحصل له المراقبة ، فإذا راقب معانى الصفات أشرقت عليه أنوار بدئه قبل نشأته الأولى ، فغاب عن وجوده بالوجود الحق ، ولديها يزول البين فتقع العين على العين ، وهى جذبة العيان ، فإن جمل بجمال حلل الوراثة نطق بالحكمة ورجع إلى الخلق وسيلة للحق بدعوة عباده إليه ، وإن اقطعته أنوار القدس غاب عن الشهود بعد إثبات الوجود الحق ومات ، فأحياه الله

(١) سورة آل عمران آية ١٩١ .

فكان مع الله والله معه ، واقفا على الأعراف يعرف كلا بسيماهم ، وهو المجذوب المقتطع ، والمطلوب المنتفع .

والوارثون قليل ، لأنهم فى مقام الاصطفاء ، والمقتطعون كثير لأنهم فى مقام الاجتباء ، وشتان بين من نفعه الله ونفع به ، وبين من ضاق ما عونه عن الأنوار فعمتْ ظاهره فَدُكَّ طُورُه ، وصعق ولم يفق .

وجواذب الأجسام النعم ، وجواذب العقول الآيات ، وجواذب النفوس الحكمة والتجليات ، وجواذب الأرواح مواجهة الوجه فى نور مجلى الذات . فاجذب كل حقيقة فيك بجواذبها ينفع الله بك .

**الأنس :**

الأنس بالله تعالى يقتضى عدم الوحشة ، والأنس بالله لا يكون إلا عن علم ، والعالم بالله أخشى الناس لله ، فإذا أنس أنس أنس أهل الأدب مع الله تعالى ، ومتى كان الأنس بالله محصنا بالخشية من الله والأدب مع الله دام ذلك الأنس ، وإنما يخشى على الآنس بربه من الوقوع فى الجمعية الكبريائية الخاصة فيفنى عن وجوده العبدى بالوجود الربانى فيحصل له الأنس ،

فيشطح أو يتيه فى بيداء التيه ، أما الأنس بالله تعالى فإنه لا وحشة له ، قال تعالى : « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون »[1] .

والآنس بالله له فى الشدة أنس فوق أنسه فى الرخاء ، لأنه آنس بالله الذى من صفاته المبلى ، لأنه آمن بالكتاب كله ، فهو سبحانه يلبسه عند الشدة أجمل حلة يحبها ، وهى حلة العبودة لذات الله تعالى تملقا وتذللا وتبتلا وابتهالا واضطراراً ، فيقيه سبحانه وتعالى ، ويواجهه مواجهة لم يسبق له نظيرها ، لأن الله يقضى للآنسين به شهود جماله العلى ، ظاهرا بمعانى الأسماء والصفات للروح وللسر وللنفس والعقل والحس ، ولا يكون ذلك إلا عند الشدة ، وأما فى غيرها فيكون الأنس خصا بالروح والعطايا للروح .

وقد أنس أبو بكر مع رسول الله ﷺ فى الغار حينما قال له : « لا تحزن إن الله مَعَنَا »[2] فكان ما تعلمه من إغاثة الله تعالى وظهور عنايته وولايته بأبى بكر الذى حصلت له الوحشة رضى الله عنه ، ولم تكن وحشة أبى بكر خوفاً على نفسه ،

---

(١) سورة الأنعام آية ٨٢ .

(٢) سورة التوبة آية ٤٠ .

ولكنها على روحه الحقيقية ﷺ ، قال الله تعالى : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه »(١) وإمامهم أبو بكر .

الروح تأنس على بساط المنادمة ، فتبتهج النفس حيث لا لبس ، وينشرح الصدر ، فينطق اللسان بجلى البيان « الرحمن علم القرآنَ خلقَ الإنسانَ علمه البيانَ »(٢) .

لا يجلس على البساط إلا من عرف ( من عرف نفسه فقد عرف ربه ) .

إذا بسط العارف بساطه آذنك بالأنس ، والأنس إما معه ، أو عنده ، أو فيه ، أو به ، أو لديه ، ولكل معلم أدب ، وليس ذلك بالدراسة ، وإنما هي العناية من الله سبقت ، والولاية منه إليك وصلت ، وسوء الأدب عجزاً عن القيام به أدب ، إلا فى مقام ( معه ) فإن الأدب أن تتحصن بحصون منهاجه بقدر ما تقوى قوتك ، فإذا غلب عليك الوجد فقوِّ بشريتك بما شئت ــ ما لم يكن محظوراً ــ وهو مقام تزكية النفس للأنس ، كان بعض الرجال يضرب نفسه بالخيزران لينبه بشريته ، وبعضهم

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢٣ .

(٢) سورة الرحمن آية ١ ــ ٤ .

يسلك مسالك التهم ، ليتهم ، وبعضهم ، وبعضهم ، إلا من سلك مع المرشد الكامل فهو كظله ، أو ميت بين يديه .

**أنس العارف :**

العارف بالله فى أنس بمولاه ، لا يحزنه شيء ، وإنما يحزن من قول أهل الجهالة الذى لا يليق بالأدب مع الله تعالى ، وقد يجمع الله له بين الأنس والفرح ، وبين الأنس والحزن ، فهو فى أنس دائم فى حالى الفرح والحزن لأن أنسه بالإشراف على قدس العزة والجبروت ، وفرحه بتجلى أسماء الجمال ، وروحه تجاوزت الملكوت وأشرفت على قدس العزة ، هذا إذا كان وارثاً .

وغير العارف أنسه بما يفرح به العارف ، وفرحه بما يلائمه ، هذا إذا كان سالكا على يد الوارث ، أما غيره ففرحه بنيل حظه ، وحزنه بفقدانه ، والله يختص برحمته من يشاء .

أنس العارف فى فصله ووحشته فى وصله ، وأنس غير العارف فى وصله ووحشته فى فصله .

**الشوق :**

هو حرارة نار القرب التنزلى : الذى به يرى نفسه المشتاق

وهو مع محبوبه ، أو عنده ، أو لديه ، والعلو العظموتى الذى يجعل المشتاق عدماً لا يليق به أن يقرب من هذا الجناب ، فيكون بين قرب لا بين ولا رين ، وبين بعد يستحيل فيه الاتحاد ، فتحرقه حرارة نار فقد المجانس ، ويجذبه برد التنزل وإيناس التلطف ، ولولا ذلك لهلك .

والمشتاق منزعج لا يقر له قرار ، فإذا قويت جواذب التنزلات شطح ـ إن لم يكن على يد المرشد ـ وإن استقرت نار الاحتراق صعق خشية الفراق ـ إن لم يكن على يد المرشد ـ فالمرشد برزخ ما بينهما ، لأنه رق الحقائق المنشور ، وبحر الأسرار المسجور ، وكتاب التنزلات المسطور ، وطود التجليات الراسخ .

الشوق مقام رفيع من مقامات المحبة ، وليس يبقى الشوق للعبد راحة ولا نعيما فى غير مشوقه ، إنما يشتاق الإنسان إلى من عرف ، ومن جهل شيئا عاداه ، وقد ورد فى الحديث القدسى : ( من عرفنى عشقنى ) وشتان بين مشتاق إلى الجنة ومشتاق إلى الحضرة ، فالمشتاق إلى الحضرة غاب عن الأكوان بمكون الأكوان ، والمشتاق إلى الجنة حجبته الزخارف عن الملك الديان .

يقول الله تعالى : ( أى عبدى ، إنك بأعينى ، وإنى لأحبك ، وإنى لقريب منك ، وإنك لقريب منى ، وإنى ماسترت عنك إلا ليشتد شوقك إلىَّ فيرضينى منك ذلك ، وما سترت عنك ماسترته إلا رحمة بك ، وتقدمة لشوقك إلى جنابى العلى ) .

ولو أن الله تعالى كاشف العبد المشتاق إليه بمقامه لديه لذاب مما يواجه به من تنزل ذى الجلال والاكرام ، فسبحان من حجب ما أقام به عبده عنه عطفاً عليه ورحمة به . ولكنا نجهل ، وإلا فمن الذى منحك الشوق حتى اشتقت ؟ ومن الذى كاشفك بالجمال حتى عشقت ؟ ومن الذى تجلى لك حتى أخرجك من حيطه الآثار إلى فسيح الأنوار ؟.

لا شوق إلا بعد الوجد ، ولا وجد إلا بعد الشوق ، ووجد عن علم يؤدى إلى شوق بعلم ، فإذا حصل الوجد بالعلم كان الوجد الحقيقى ، وبعده الشوق الحقيقى .

فى أفق الشروق ينعدم المشوق .

العشق يُنطق ، والشوق يُزعج ، والمحبة تُصمت .

أبوحُ إذا علاَ شوقى بوجدِى وَيبْدُو لي الهيامُ وفيه رُشْدِي
أموتُ بكم وأحياَ كلَّ وقتٍ وموتِي فيكمُ عزى ومجدِي

ولما أن سكنتُم فى فؤادى جُذِبْتُ إلى الولى بغيرِ جُهْدِ
فبحتُ بسرِّكم رَغماً وإنى بشدةِ حبكُم قد صحَّ سعدِى

وقال رضى الله عنه :

هو الشوقُ للمذْكُـــورِ يُخفِـــى المظاهـــراَ
وُيشْهِـــدُ مَذْكُـــوراً عَليّـــاً وقَـــادرَا
ويُظْهِـــرُ أنـــوارَ الحقائِـــقِ جَهْـــرَةً
لديها يَلَـــذُّ الجَمْـــعُ راحـــا مُطَهـــراً
هُوَ الشوقُ أفنانـــيِ وأخفَـــى مَعـــالمى
فصرتُ به غَيبـــاً وكـــونى مَظْهـــرا

إن لله ساعات يشوق فيها عبيده إليه ، فينسيهم كل شيء .

الشوق إلى الغيب دليل على أن فى المشتاق ساطعة أنوار منه وكيف لا ؟! والزيت فى المصباح مضيء ، والمصباح إلى العالم الأعلى مشير ولو لم تقم الحجة العقلية ولا الدلائل النقلية ، لا أقيم الحجة برسل الله الكرام ولكنى أقيمها بأهل الكهف . والذوق فوق العلم ، والكشف فوق الذوق ، والفناء عن الوجود فوق الكشف .

شوَّقَك إلى الآيات ، لتلحظ أنوار معانى الصفات . وأشرق

فيك وبك معانى الصفات ، لتفر إلى غيب التجليات . وأراك من التجليات البينات ، ما به تلحظ سواطع أنوار غيب مجلى الذات بالفناء عنك وعن الكائنات ، لديها فوجودك به حق ، وإذا ثبت وجودك الحق كنت للحق وكان الحق لك ، فوَجِّهْ وجهك إليه ، واجعلْ صلاتك ونسكك ومحياك ومماتك لله رب العالمين لا شريك له ، فالأمر والجذب منه ، والتسليم والانقياد منك به .

لا ينفك شوق المحبوب إليه حتى تنكشف جلية الحقيقة ، ولا انكشاف لها ، لأن قدرته لم تتعلق بإيجاد من يجانسه فيدركه ، ولا صبر لمن ألقى عليهم محبة من عنده ولا محيل لهم عنه ، فهو العلى العظيم عن أن يدرك ، وهو القريب المجيب فلا يغيب عن طالبه ، إنما يتجاوز المحبوب مقام الشوق إلى الإلهانية ومنها إلى المهيمنية[1] ، فإذا قوى الاصطلام فى مقام الاعتصام رد إلى الصورة شهوداً بعين البصيرة ، فاطمأن القلب بها ، لا تسليا عن الهوية ، ولكن عجزا عن تحمل الصبر على الإلهانية ، وخشوعا تحت هذا السلطان العلى والمكانة الصمدانية .

---

(١) المهيمنية : هو مقام من مقامات الملائكة المهيمنة فى شهود جمال الحق وهم من الملائكة التى لم تسجد لآدم لأن الله أمر بعض الملائكة بالسجود ولم يأمر البعض الآخر .

فَدُمْ فى مزيدِ واصطلامِ غَرامِيا
فنارُ اصْطِلامى فى الحبيبِ مُدَامِيَا

نعم يطمئنُّ القلبُ بالصورةِ التي
تُرِيني جَمالَ الغيبِ لاحَ أماميَا

ولكن إلهانيتى فى اصْطِناَعِهِ
إليه تُجاذِبُني وتُخفى مقامِيَا

فلا ( وأبيكَ ) المثْنويَّة تُفْنِيني
ولا الفَصْلُ يُخفِى الوجْدَ خَلَّ ملاَمِيَا

من البدءِ من قبلِ التجلى صَبَابِتى
وكُنتُ أرى لم يَسْتَرْبى حمَاَمِيَا

فكيفَ وسورِى من حضيض ومن صوى
أُقرُّ لغيرِ الوجه فاسمع كلاميا

فلا وجمالِ الوجهِ فى الحظوةِ التى
تُليحُ ( تَدَلَّى ) غيبها فى سلاميا

وتُنكِرُ ( إذ يغشى ) بِراحِ طَهُورِهِ
بآية ( ما أوحى ) تَنَاولُ مُدَامِيَا

**المحبة :**

القلب بيت الرب ، فطهره له بالحب .

إنما يحب ما فيك منه ، وإنما يقربك بما يورده عليك منه فاحذر أن ترى تقربك تقريبا ، وافن عنه بمشاهد التوحيد تكن من أهل التفريد ، ويحبك إذا أديت الأمانة لأهلها ، وعرفت لنفسك قدرها ، ومتى أحبك فكن كيف شئت ، فإن من أحبهم عصمهم ، أو حفظهم ، « وما تشاءون إلا أن يشاء الله »[1] وما تقول فى قوم الحق معالم بين أعينهم ، وعندهم ، ومعهم ، وهم معه وعنده لا يغفلون وإن غفل الناس « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون »[2] .

إنما يشهد ضياء المحب عين تحب .

كذب من ادعى محبة من لم يعرف ، فإنه قد يسيء الادب لجهله بمكانة المحبوب ، وللمحبة دلائل يدعو إليها العلم بالمحبوب ، ومن أول دلائلها التسليم له ، والصبر معه ، والرضا عنه . وسعد والله من كاشفه الله بأنوار التوحيد فى مقامات التنزيه والتفريد ، حتى فنى عن وجوده بنفسه ، فكان عدما فى نظره به ، موجودا فى نظره بربه ، هذا سيئاته حسنات ،

---

(١) سورة التكوير آية ٢٩ .

(٢) سورة الأنعام آية ٨٢ .

ومعاصيه طاعات ، وجهالته علم ، وبعده قرب ، وفصله وصل ، قال الله تعالى : « الله وليُّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور »[1] .

لا يغيب من شهد الحبيب ، فإنه إن حجب عن بصره لا يحجب عن بصيرته .

المحب يرى حبيبه قريبا بأنسه بعيدا بشوقه .

المحبة ترفع أهل أدنى المراتب إلى أهل أعلى المراتب .

أهل المحبة يخافون من البعد وهم فى أقرب مراتب القرب ، وأهل الجفا يأمنون وهم فى أبعد البعد .

إذا أردت أن يحبك فانظر إلى ما منه إليك ، ولا تنظر إلى ما منك إليه ، فإن نظرت إلى ما منه إليك كنت عبدا حقا ، وإن نظرت إلى ما منك إليه كنت مشركا .

من ذاق جرعة من صافى طهور محبة الله ؛ أغناه الله عمن سواه .

ليس هناك محبوب كله خير إلا الله ومن والاه وما والاه .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٧ .

من ذاق حلاوة خالص محبة الله لم يلتفت إلى شيء سواه .

لدغَتْ حيةُ الهَوى كبدى فلا طبيبَ لَهَا ولا رَاقي

إذا أجلسك على بساط المحبة فانس كل ما عداها .

أحب خلقه إليه ؛ من اعترف بذنبه بين يديه .

من عرج على معارج المحبة ارتفع لأعلى مقام ، ومن عرج على معارج المجاهدة ارتفع لحضرة الإنعام . وشتان بين من هو مع الإنعام وبين من هو مع المنعم .

المحبة قسمان : محبة واصلة منه إليك ، وهى اختصاصك بما هو من صفاتك . والمحبة الواجبة عليك وهى أن تجعل أمره مقدماً على حظك ، ومراده مقدما على مرادك ، وطاعته مقدمة على هواك .

هُو الحبُّ نُورٌ يَكْشِفُ الحُجُبَ عن قلبي
فأهتــزُّ حالَ الذكــرِ شوقًــا إلى ربى
أهِيــمُ بذكــرِ الله والوجــه مشرقٌ
فأشهــدُ نُورَ الوجــهِ من غير مَا حَجْبِ
فأفنــىَ عن الآثارِ شوقــاً إلى اللقَــا
فَيمنَحنــى ربى الطَّهُــورَ من الشُّربِ

سقانـــا رسولُ الله خمْـــرةَ حبِّـــه
فأسْكَرنـــا طه فَهِمْنَـــا إلى الـــرب
فَبُشرى لأهـــلِ الحبِّ نالـــوا مُرادَهُـــمْ
إمامُهُـــم المختـــارُ كَشْفـــاً بلا حُجُبِ

ما يحجب به غير المحب ينمو به غرام المحب ، فإن ما لا يلائم النفس يقبضها عن الأنس ، أما أهل المحبة فإن أنسهم بالله عند ما لا يلائم نفوسهم ، قال تعالى : « الذين قال لهم الناسُ إن الناسَ قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل »[1] وما ازدادوا إيماناً إلا لشوقهم إلى لقاء الله وإعلاء كلمة الله ، وقد يجمع الله لهم الشوق إلى لقائه ، وإعلاء كلمته .

المحبة حجاب ـ وهى أرقى المقامات ـ لأنها تشغل عن المحبوب ، وهل يسع القلب محبوبا وحبا ؟!.

نار المحبة لاتبقى فى القلب لغير المحبوب حبة .

ولا تلم على من قال : « الله محبة » فإن المحبة جعلت أهل الجاهلية العمياء تخدمهم الملائكة المقربون ، ويحبهم رب العزة

---

(١) سورة آل عمران آية ١٧٣ .

والجلال ، ضحوا فى سبيل المحبة بكل شىء : من دين كانوا عليه ، ومن وطن كانوا يجلونه ، ومن مال كانوا يحرصون عليه ، ومن عرض كانوا يتفانون فى المحافظة عليه . ثم صغر كل ذلك لديهم فى سبيل المحبة ، حتى بذلوا أنفس نفيس ، وهو النفس ، على ظِبَة السيف ، ولولا المحبة لما أشرقت تلك الأنوار ، ولا تجملوا بتلك الأحوال والمحبة منه أولا ، وبه لهم ثانيا « يحبهم ويحبونه »(١) .

ما لى وللمحبة ؟! أشير إلى مقاماتها وهى فوق الأرواح قدرا ، لم يكشف سرها من الله لعبده ولا من العبد لله ولذلك أنكرها أهل العقول ، لأنهم حرموا الوصول ، وأهلها هم الذين صاغ الله نفوسهم من نور قدسه ، فأشرقت هياكلهم على القدس الأعلى .

فاطْوِ أخى بساط أهل المحبة ، فإن مقاماتهم عزت عن أن يشار إليها ، وأحوالهم رفعت عن أن يعبر عنها . وما تقول يا أخى فى رجل إذا سأل حبيبه لباه ، وإذا سكت افتتحه وناجاه ، وإذا شغله شأن من شؤون الدنيا والآخرة أسرع إليه

---

(١) سورة المائدة آية ٥٤ .

وأرضاه ، هؤلاء هم أهل المحبة ، ما ذكر أحد منهم شيئا إلا سهله ، وما اشتغل الإنسان منهم إلا بحبه ، فأسرع أن تذكر له ما يهمك فى دنياك وآخرتك لا لتيسيره ، بل لتفرغ قلبك له ، وبعد ذلك سل تعط ، وارج تنل .

محبة الله للعبد إيثار من الله تعالى لعباده المخلصين ، به يرفعهم إلى مقام المقربين ، ومعية رب العالمين ، وعندية الملك المقتدر فى مقعد صدق ، ومحبة العبد لله تعالى إيثار العبد ربه على كل شىء ، حتى يتأله له دون كل شىء ، ويشتغل بذكره عمن سواه ، ويحترق حبا فيه ، حتى يكشف له الحجب فيراه .

الحب إن كان بالعلم جذب إلى المحبوب ، وإن كان بالشهود أصمت المحب ، لأنه قد يعجز عن تصوير محبوبه بعبارة أو إشارة ، ويجله عن أن تبين محبته غيرة للمحبوب ، فإذا تجاوز الكشف صار المحب محبوبا ، فأشار إلى المحبة بقدر نفسه .

القيمة بقدر المقصد ــ هذا إذا قوم المقصد ــ ومن طلب المقصد الذى لا يقوم ابتدأ ببذل روحه مستقلا لها ــ لا لينال المقصد ــ بل سروراً بعلمه أن هناك مقصدا لا يقوم . وهذا يكون لأهل المحبة خاصة ، لأن الحب لا يكون إلا بعد المعرفة ، ومتى عرف المحبوب عشق ، وبقدره يكون البذل ، فإن كان لا

يعلم قدره غيره كسرت الموازين ، وحصل الدهش للعقول ، والحيرة للنفوس ، وانكسر القلب قصورا ، وخشع الجسم تقصيرا ، وإنما تكون المبادلة فى النظائر والنظراء ، لا فيما لا نظيرَ له ، فكيف إذا تحقق من قصده الله أن النفس والجسم والعقل والحس صنعته التى أبدعها ، وأنه هو القاهر فوقها ، لديها تقوى الرهبة ، وتتحقق من الفرق الغيبة ، وتجذبه حقيقة الذل إليها من أن يشاكل ، أو يجانس ، أو يؤانس ، وهو نهاية الشوق ومبدؤه فوق الطوق ، « والله غالب على أمره ولكن أكثرَ الناسِ لا يعلمون »[1] .

---

(١) سورة يوسف آية ٢١ .

# الفهرس

ص

# كشف بتوزيع الليالى المحمدية حسب المدن والدعاة

## شهر ذو الحجة سنة ١٤٢٤ هـ - فبراير سنة ٢٠٠٤ م

| م | المدينة | اسم الداعي | رقم الليلة | التاريخ شهر ق | التاريخ شهر ش |
|---|---|---|---|---|---|
| ١ | مرسى مطروح | أ. كرم أبو زيد | ٢٩ | ١٤٢٤/١٢/٧هـ | ٢٠٠٤/١/٢٩م |
| ٢ | الإسكندرية | أ. عبد الحليم العزمى | ٤٣ | ١٤٢٤/١٢/١٤هـ | ٢٠٠٤/٢/٥م |
| ٣ | دمنهور | أ . سامى العسالة | ٢٧ | ١٤٢٤/١٢/٧هـ | ٢٠٠٤/١/٢٩م |
| ٤ | كفر الشيخ | أ. عبد الحليم العزمى | ٢٩ | ١٤٢٤/١٢/١١هـ | ٢٠٠٤/٢/٢م |
| ٥ | إيتاى البارود | أ . سميح قنديل | ٣٣ | ١٤٢٤/١٢/٧هـ | ٢٠٠٤/١/٢٩م |
| ٦ | كوم حمادة | أ . سميح قنديل | ٣٣ | ١٤٢٤/١٢/٨هـ | ٢٠٠٤/١/٣٠م |
| ٧ | الإسماعيلية | أ . جمال أمين | ٣١ | ١٤٢٤/١٢/٨هـ | ٢٠٠٤/١/٣٠م |
| ٨ | السويس | أ . جمال أمين | ٣٠ | ١٤٢٤/١٢/١٤هـ | ٢٠٠٤/٢/٥م |
| ٩ | الشهداء | أ . فتوح لعج | ٢٥ | ١٤٢٤/١٢/١٤هـ | ٢٠٠٤/٢/٥م |
| ١٠ | رشيد | أ . سميح قنديل | ٢٨ | ١٤٢٤/١٢/١٤هـ | ٢٠٠٤/٢/٥م |
| ١١ | القاهرة | أ. عبد الحليم العزمى | ٥٣ | ١٤٢٤/١٢/١هـ | ٤/١/٢٣ |
| ١٢ | المنيا | أ . قنديل عبد الهادى | ٢١ | ١٤٢٤/١٢/٢١ | |
| ١٣ | برج البرلس | أ. عبد الحليم العزمى | ٣٣ | ٤٢٤/١٢/١٢ | |
| ١٤ | بلقاس | أ. قنديل عبد الهادى | ٢١ | ١٤٢٤/١٢/٧ | |
| ١٥ | كفر الدوار | أ. سامى العسالة | ١٧ | ١٤٢٤/١٢/٧ | |
| ١٦ | بورسعيد | أ. جمال أمين | ٢١ | ١٤٢٤/١٢/٧ | |
| ١٧ | الشرقية | أ. عبد الحليم العزمى | ٢٤ | ٤٢٤/١٢/٢٠ | |
| ١٨ | المحلة الكبرى | أ. فتوح لعج | ٢٥ | ١٤٢٤/١٢/٤ | |
| ١٩ | كفر الزيات | أ. فتوح لعج | ٢٥ | ١٤٢٤/١٢/٦ | |